



University of Antwerp
Law and Development

حقوق إنسان تحررية
Emancipatory Human Rights



معهد مواطن للديمقراطية وحقوق الإنسان
Muwatin Institute for Democracy and Human Rights

Policy Brief

ورقة سياسات

التعليم الشعبي التحرري في الظرف الاستعماري

ضمن مشروع "حقوق إنسان تحررية"

دانا فراج

2024

ملخص تنفيذي

تشير ورقة السياسات هذه إلى ضرورة مراجعة النظام التعليمي القائم في فلسطين، وتلقت الأنظار إلى ضرورة وجود نمط تعليمي غير مؤطر إلى جانب التعليم الرسمي. وتطرح الورقة نموذج التعليم الشعبي التحرري كأداة مناسبة لبدء تفكيك ما زرعه الاستعمار، ولخلق مشروع وطني تعليمي تحرري يستجيب لطموحات الشعب الفلسطيني السياسية والاجتماعية. وتهدف ورقة السياسات هذه إلى إثارة النقاش والتساؤلات حول ما يحدث وما هو قائم ضمن نقاش أكبر يجب أن يخوضه الشعب الفلسطيني حول واقع ومستقبل التعليم في الضفة الغربية وقطاع غزة.

وبشكل مجمل تناقش هذه الورقة اقتراحات وسياسات تتعلق بالتعليم الشعبي التحرري، وذلك بعد تعريفه وتوضيح أهميته، خاصة في الطرف الاستعماري، واستعراض عدد من التجارب التاريخية للشعب الفلسطيني، وماهية الدروس المستفادة من هذه التجارب، وكيفية الاستفادة منها في المرحلة القادمة في قطاع غزة. إضافة إلى استعراض خطة الحكومة لاستعادة التعليم في قطاع غزة. كما تناقش الورقة ضرورة إعادة النظر في خطط الحكومة لإعادة التعليم في قطاع غزة، كونها انطلقت من الجوانب الإجرائية للعملية التعليمية، وركزت على إعادة بناء إطار مؤسساتي، بدون الالتفات إلى محتوى العملية، وضرورة التعامل مع واقع قطاع غزة واحتياجات طلابه بغض النظر عن عمليات إعادة الإعمار.

وتقدم الورقة مجموعة من المقترحات والتوصيات التي تؤكد على ضرورة أن تكون عملية إعادة الإعمار واستعادة التعليم من إنتاج فلسطيني وبمشاركة شعبية، موجهة نحو إسقاط الأجندة الاستعمارية؛ وأن تقوم الحكومة بإعداد خطة عمل شاملة لمواجهة التحديات الحالية والمستقبلية لا تنحصر في المؤسسات الأكاديمية التقليدية الرسمية، بل تدعم المبادرات الشعبية للتعليم؛ وضمان أن تشمل خطط التعليم تلبية احتياجات الطلبة النفسية والجسدية والصحية؛ وأن تعتمد الحكومة طرقاتاً غير تقليدية لتسهيل التحاق الطلبة في العملية التعليمية في قطاع غزة.

وتمحورت التوصيات حول ضرورة الحفاظ على مركزية هدف عملية التعليم وإنتاج المعرفة، وهو إتاحة المجال للتعلم بشكل حر يستجيب لاحتياجات المرحلة القادمة في حياة الشعب الفلسطيني. وأن يكون هناك فضاءات حرة للأكاديميين والمثقفين تدعم دورهم في التعليم الشعبي من خلال تعزيز المبادرات التي تسهم في تطوير قيم الحرية والمساواة والاستقلال والتخلص من النظم القمعية.

المقدمة

في ظل ما يعيشه الشعب الفلسطيني في الوضع الحالي، واستمرار الإبادة الجماعية في قطاع غزة، وما تشهده الضفة الغربية من استمرار مصادرة الأراضي والسياسات الإسرائيلية الهادفة إلى تهجير الفلسطينيين، خاصة في مخيمات اللجوء، ويتزامن ذلك مع التحديات على الصعيد الفلسطيني الداخلي، فمن جهة هنالك تحدي إعادة إعمار قطاع التعليم في قطاع غزة وماهية أولويات التعليم، ومن جهة أخرى هنالك تحديات اقتصادية وسياسية واجتماعية متصاعدة.

يكتسب التعليم الشعبي التحرري أهمية استثنائية في الطرف الراهن الذي تتصدره حرب الإبادة المستمرة في قطاع غزة منذ تشرين الأول/أكتوبر 2023، والتي استهدفت ودمرت قطاع التعليم بشكل شبه كامل. كما أن الأزمة التي يمر بها القطاع التعليمي والحركة الطلابية في الجامعات الفلسطينية تستدعي الالتفات إلى الأنماط البديلة للتوعية، وشحذ مهارات التفكير النقدي، وسبل الإبداع خارج أطر المنظومة المصابة بالأزمة. كما تبرز الحاجة لنقاش التحديات التي تواجه الشعب الفلسطيني، وفحص ما يدعم صموده وتحرره من الاستعمار والنظم القمعية.

وتشكل عمليات إنتاج المعرفة والتعليم ديناميكيات تصلح لتحرير نُظم إنتاج المعرفة من البنى الاستعمارية، خاصة في ظل استخدامها لإنتاج معرفة تُعيد تشكيل وعي الأفراد بطريقة تعزز رواية المستعمر ووهم تفوقه الفكري، والخضوع لأنظمة الهيمنة باختلاف أشكالها سواء كانت استعمارية أم غيرها. فيجدر بالتعليم أن يسهم بشكل مباشر في إحباط كافة أنماط الهيمنة، سواء تجسدت في القوة الاستعمارية، أو في الأنظمة السياسية القمعية، أو في تلك العادات والتقاليد التي تسند الأضنام الفكرية التي تُخضع الأفراد. وكذلك على التعليم مواجهة العلاقات الاجتماعية المبنية على الخضوع بدل الندية، لأنها تقيّد الأفراد وتفصلهم عن واقعهم واحتياجاتهم الفعلية، وتضعهم في قوالب تُسلّع تعليمهم وإنتاجهم الفكري، وتغرق المجتمعات في غير ما يجب أن تلتفت إليه.

تحتم علينا السياسات الاستعمارية، المدعّمة بتحالفات إقليمية ودولية في الهجمة على فلسطين عامة، وقطاع غزة على وجه الخصوص، إعادة التفكير في التوجهات الفكرية والتربوية والاجتماعية والنظم التعليمية التي تتبنى سرديّة التاريخ من وجهة نظر استعمارية، للبناء والمواجهة في سبيل التحرّر الجمعي الإنساني. في المقابل، إن حالة التضامن مع الشعب الفلسطيني، والتحام القضايا والنضالات الذي نشهده اليوم في مختلف دول العالم، ودوره في دعم القضية الفلسطينية، والحاجة المتبادلة لتشكيل الوعي التحرري الإنساني حول القضية الفلسطينية وعدالتها المنبثقة من حقوق الشعب الفلسطيني، تجعل من التعليم الشعبي أداة ضرورية.

أهداف ورقة السياسات

تحاول هذه الورقة أن تعالج موضوع تحرير التعليم وأدوات إنتاج المعرفة من خلال الإشارة أنه لا بد من وجود مراجعة نقدية للنظم التعليمية، ولا يعني ذلك بالضرورة إلغاء ما هو قائم، وإنما هو دعوة لإعادة النظر في ماهيّة الاحتياجات والمتطلبات للمرحلة الحالية والقادمة (وهو أمر يكتسب أهمية استثنائية اليوم في قطاع غزة). ويتطلب هذا الشجاعة للاعتراف بأن أي معرفة يمكن وينبغي أن تكون مفتوحة للتحدي والتساؤل وتوسيع نطاق التساؤلات والتأمل، بغض النظر عن علاقات الهيمنة التي قد تحكمها، سواء كان مصدر هذه العلاقات المجتمع أو الحكومة السلطوية، أو جهات استعمارية، أو حتى جماعات من داخل المجتمع تسعى إلى إقصاء الآخر والتحكم في الشعب. وفي ظل الوضع الراهن تبدو هذه الطريقة هي الأنسب للمساهمة في دعم نُظم إنتاج وتبادل المعرفة التحررية الشعبية، وبشكل يضمن تجنب إزاحة قوة هيمنة لنُظم إنتاج وتداول المعرفة، بما في ذلك المناهج الدراسية، من قبل قوة هيمنة أخرى.

مفهوم التعليم الشعبي التحرري

ارتبط مفهوم التعليم التحرري حديثاً بالمفكر البرازيلي باولو فرييري،¹ ومقولته التي تكثّف إنتاجه الفكري أن "ليس هناك تعليماً محايداً، فإما تعليم للترويض وإما تعليم للحرية"²، ويعكس فكر فرييري حول التعليم إدراكاً لدور التعليم في تحقيق التغيير الثوري الاجتماعي والسياسي، من خلال الوقوف

¹ باولو فرييري، *الفعل الثقافي في سبيل الحرية*، ترجمة إبراهيم الكرداوي، (القاهرة: مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الإنسان، 1995)، 19. وأنظر أيضاً باولو فرييري، *تعليم المقهورين*، ترجمة يوسف نور عوض (بيروت: دار القلم، 1980)، 35-36.

² باولو فرييري، *الفعل الثقافي في سبيل الحرية*، 17.

على الواقع وفهم الاقتصاد السياسي، وجذور الاستغلال، والاغتراب الاجتماعي، وغير ذلك من دلالات الحاجة إلى تغيير جذري.

كما بالإمكان التفكير بالتعليم الشعبي التحرري انطلاقاً من فكر المفكر الإيطالي أنطونيو غرامشي، الذي يرى أنه يجب عدم إخضاع الفكر والثقافة للهيمنة والعلاقات السلطوية، وبالإشارة إلى أن عملية التعليم هي عملية تبادلية، دون العلاقات الهرمية التي تفترض توزيع الأدوار وليس تبادلاً: مُعلِّم يملك المعرفة ومُتعلِّم يتلقاها. بما يعني أن عملية التعلم يمكن أن تكون تبادلية غير هرمية في حيز حر، وأن التعلُّم هو خلق فضاءات واسعة للمعرفة وإنتاج المعرفة.

وفقاً لغرامشي، تشكّل المدرسة بشكلها التقليدي أداة لإعادة إنتاج وترسيخ دور القوى المسيطرة والمهيمنة، وتعزيز آليات الرضوخ والاستسلام للطبقة الحاكمة، على خلاف ما هو ممكن من قيام المدرسة بتقديم النقيض لثقافة الهيمنة، والعمل على التعليم التحرري الذي لا ينحصر في حدود المؤسسات التعليمية، وإنما يتغلغل وسط أروقة ومساحات العمل للمجتمع المدني (بما يشمل النقابات والأحزاب) بحسب دوره المناط به، حيث يبرز دور المثقف العضوي الذي يشكل عنصراً مركزياً في التعليم الشعبي التحرري، وتشكيل وعي الشعب والطبقات المسحوقة.³

ومن هنا يمكن فهم ارتباط التعليم الشعبي التحرري بالجنوب العالمي، الذي عانى ويعاني من أشكال الاستعمار والاستغلال المختلفة، فتجارب التنظيمات الاجتماعية في أمريكا اللاتينية، وفي فلسطين إبان الانتفاضة الشعبية الأولى (1987 – 1992)،⁴ وغيرها من التجارب في دول مختلفة،⁵ دليل على قدرة المجتمع على تنظيم نفسه،⁶ وتنقيف المرء وعائلته، بعيداً عن الأطر التي تديرها السلطات، وبناء عملية التعليم الشعبي التحرري، والكتابة والتنظير في هذا الاتجاه، من خلال موائمة المعرفة المنتجة مع الواقع الاستعماري، وانبثاقها من الحاجة إلى تغييره، بعيداً عن هيمنة إنتاج المعرفة الاستعمارية.

بالتالي، بإمكاننا تعريف التعليم الشعبي التحرري على أنه عملية التعليم الديناميكي والتشاركي، المتغير والمتوائم بحسب احتياجات الشعب، وفق الأولويات في كل زمن وظرف ومكان، أي تعليم يهدف إلى تلبية الاحتياجات والأولويات، ويسهم في خدمة وتطوير المجتمع، وهو تعليم يرتبط بالواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي، من خلال حركة اجتماعية سياسية،⁷ ويرتبط بشكل وثيق بالتغيير القادر على معالجة الجذور لا القشور.

³ Antonio Gramsci, **Prison Notebooks**, Volume III, Edited and translated by Joseph A. Buttigieg (New York: Columbia University Press, 1975, Translation 2007), 338.

⁴ انظر: روجر هيكوك وعلاء جرادات (تحرير)، **انتفاضة 1987: تحول شعب** (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2020).

⁵ تقدم الكاتبة مارجوري مايو نماذج عدة من تجارب العالم في التعليم الشعبي، أنظر:

Marjorie Mayo, *Community-based learning and social movements: Popular Education in a Populist Age* (Bristol: Policy Press, 2020).

ويتحدث بولو فرييري عن التعليم كعملية ثقافية في سبيل الحرية: "وان التعليم ليس إلا فعلاً ثقافياً من أجل الحرية ولذلك فهو فعل للمعرفة لا للاستظهار ولا يمكن أبداً أن تستطبع نظرية ميكانيكية أن تحسب الحساب لهذا الفعل في كليته المعقدة، لأن نظرية كهذه لن تُعي التعليم عموماً،" فرييري، **الفعل الثقافي**، 25.

⁶ وفق شبكة التعليم الشعبي (PEN) *Popular Education Network*، يميّز جيم كروثير (منسق الشبكة) في تعريفه بين التعليم الشعبي والشعبي، إذ يعرف التعليم الشعبي على أنه مختلف عن مجرد شعبي، أي أنه متجذّر في مصالح الشعب ونضالاته الحقيقية، وسياسي بشكل علني وناقد للوضع، وملتزم بالتغيير الاجتماعي التقدمي.

Jim Crowther, "The international popular education network: its purpose and contribution", **Rizoma-Instituto Paulo Freire de España**, no. 14, 2013, <https://www.rizoma-freireano.org/articles-1414/the-international-popular-education-network> (Accessed: 23 July 2024) and; Mayo, *Community-based learning*, 19-20, 57.

⁷ ماهر الحشوة، "التربية التحررية النقدية"، **معهد مواطن للديمقراطية وحقوق الإنسان**، 21 آب/أغسطس 2021، <https://rb.gy/wql594> (تاريخ الوصول: 25 تموز/ يوليو 2024).

ومما يميّز التعليم الشعبي التحرري أنه ليس له قالب معين، فهو يتشكل وفق احتياجات المجتمع، فهو لا يستهدف معرفة معينة وإنما كل ما يمكن للأفراد تعلمه. وهو تعليم شعبي - يمارسه الشعب باستقلال عن منظومة الأطر الرسمية،⁸ وهو متاح للجميع، ويناقش كل ما يتعلق بالوعي المجتمعي الجمعي والفردية، وكونه تحررياً أي يدعو للتحرر من القيود والقوالب المفروضة التي تعيق اكتساب المعرفة. وهو يؤسس لحصانة ضد قيام الجهات السلطوية بسلخ المعرفة عن واقع المجتمع وطموحاته واحتياجاته. كما يعزز التحرر من القوالب الرسمية والتقليدية، ما يسمح بأن يكون الأفراد جزءاً وعنصراً فاعلاً في عملية إنتاج وتبادل المعرفة.

أهمية التعليم الشعبي التحرري

تكمن أهمية التعليم الشعبي التحرري في قدرته على استقرار ومحاكاة هموم المجتمع، وفي دوره الرافد والداعم لنضالات المجتمع من خارج مؤسسات التعليم الرسمية مثل الجامعة أو المدرسة، وفي إسهامه في انعقاد المجتمع الوطني والسياسي والاقتصادي والاجتماعي من نبر مختلف أشكال الهيمنة بأشكالها الاستعمارية، والسلطوية.

وفي السياق الفلسطيني، تبرز أهمية التعليم الشعبي التحرري في العمل على المشروع الوطني للتحرر من الاستعمار، وتعزيز النضال الوطني السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وصوغ الفعل السياسي والثقافي، والتركيز عليه، وتعزيز الحس الجمعي،⁹ مقابل الفردانية التي تعززت على مدار العقود الأخيرة لأسباب عدة، لسنا في معرض الحديث عنها هنا، ولكن من أهمها سيطرة نهج الليبرالية الجديدة على مختلف جوانب الحياة، من بينها قطاع التعليم.¹⁰

هكذا تبرز أهمية التعليم الشعبي التحرري في مواجهة هيمنة القوة الاستعمارية، وفرض أجندتها، بل وسيطرتها الفعلية المباشرة وغير المباشرة على نظام التعليم، سواء بإغلاق المدارس والجامعات، أو استهدافها وتدميرها، أو بفرض المناهج، أو بمصادرة الكتب ومنعها، وهدم المكتبات. يسعى التعليم الشعبي التحرري إلى التحرر من القدرية، أو بحسب ما صاغه ماهر الحشوة "التربية التحررية النقدية، إذن، تهدف أساساً إلى تحرير الإنسان، إلى جعله أكثر إنسانية، من خلال تمكينه من أجل تغيير المجتمع غير العادل الذي يعيش فيه."¹¹

وبما أن التعليم الرسمي يعاني من عدم الاستجابة للتحديات المختلفة، مثل الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ضمن السياق الاستعماري، فالتعليم المؤسسي في فلسطين بغالبيتها يتم في المدارس الحكومية، التي تقدم تعليماً لما يقارب 75% من الطلبة في الأراضي الفلسطينية المحتلة، والتي تخضع لسياسات أفضت إلى استياء عام من مستوى التعليم في المدارس، لا بُدَّ من البحث عن سبل عدم قصر عملية التعلم على ما تقدمه هذه المنظومة. أضف إلى ذلك سيطرة الحكومة الإسرائيلية التي تتبنى أيديولوجيا عنصرية على منهاج تعليم الفلسطينيين في أراضي عام 1948،

<https://rb.gv/wql594> (تاريخ الوصول: 25 تموز/يوليو 2024).

⁸ Abdalla al-Kurd and Barton R. Herrscher, "Alternative Education under the Intifada: The Palestinian Response to Israeli Policy in the Occupied Territories", in *Children in the Muslim Middle East*, ed., Elizabeth Warnock Fernea, (New York: University of Texas Press, 1995), 298.

⁹ فريدي، تعليم المقهورين، 31، "كيف يستطيع المقهورون المقسمون والذين لا يشعرون بوجودهم المتحقق أن يسهموا في تطوير أسلوب تعليمي يستهدف تحريرهم؟"

¹⁰ "Critics have located this within the context of neoliberal approaches more generally, individualising educational provision, presenting this as an investment good, offering varying returns on individuals' learning – to be calculated in terms of the future earnings to be anticipated (Collini, 2012, 2017)." Mayo, *Community-based learning*, 21.

¹¹ الحشوة، التربية التحررية النقدية.

وفي القدس، وفي الضفة الغربية وقطاع غزة، سواء بطرق مباشرة أو غير مباشرة (من خلال الضغط الدولي، على سبيل المثال).¹² وخاصة في ظل تبني جهات مؤثرة للدفع نحو تشويه الرواية الفلسطينية،¹³ بحيث تصبح المناهج والعملية التعليمية هدفاً للاستعمار وأداة لمجابهته في ذات الوقت.

وتكمن قوة التعليم الشعبي في أنه غير مؤطر بيروقراطياً، وغير منظم حكومياً أو من جهة تفرض سلطة ما، هذا يزيد من احتمالات وإمكانات التمرد على أي منظومة قمعية، ويتيح المجال للإبداع وتوسيع المدارك خارج المنهاج، بسبب عدم ارتباطه بمركزية المنظومة. والتعليم الشعبي، يضمن عدم التلقين، ويشكل التحرر من التلقين والسلطوية شرطاً لكون التعليم تحريراً. كما أن التعليم الشعبي هو عملية تراكمية، ويعتمد على البناء، وقد يحتاج إلى سنوات عديدة ليأتي بنتائج مختلفة عن التعليم المأسس، الذي لا يأخذ بعين الاعتبار الاختلافات أو التطورات في كل بلد.

وبما أن التعليم الرسمي غير ممكن في الظروف الاستثنائية التي يمر بها قطاع غزة على وجه التحديد، هناك حاجة لدعم أشكال التعليم الأخرى، كالتعليم الشعبي التحرري، المبني على محاكاة الأولويات والظروف، ويشكل استجابة بعيدة عن النظرة الإنفاذية، متجاوزاً معالجة الأزمات الإنسانية دون النظر إلى أسبابها وجذورها،¹⁴ والسعي إلى حلها. فعلياً برزت العديد من نماذج التعليم الشعبي في غزة لمجموعات من الأساتذة والطلبة في جلسات تعليمية، ومبادرات تسعى إلى خلق الأمل واستمرارية التعليم ضمن الظروف الراهنة، الأمر الذي يشبه إلى حد ما الجلسات الفكرية والثقافية التي يقوم بها الأسرى الفلسطينيون في سجون الاحتلال.

إن التعليم الشعبي التحرري هو أحد السبل والأدوات البديلة لمواجهة استهداف التعليم والسعي الاستعماري لتجهيل الشعب، وحتى يتحول التعليم في المدرسة من تعليم يعزز بنى الهيمنة، إلى تعليم تحرري وثورى، ومن أجل إنشاء مدرسة مختلفة تماماً، بحسب ما يقترح غرامشي: مدرسة سياسية في خدمة نضال الطبقات المسحوقة، والتي يمكن أن تصبح مدرسة ثورية.

أشكال التعليم الشعبي التحرري

في بدايات القرن الماضي، في فلسطين، استخدم خليل السكاكيني التعليم التشاركي، وعمل وفق مبدأ احترام عقل الطالب. واعتبر أن التعليم الرسمي، في صيغته الغربية، هو إذلال واحتذاء بحذاء الغير فرقع شعار "إعزاز" التلميذ لا "إذلاله" في مدرسته بالقدس (1909)، حيث لا علامات ولا جوائز ولا عقاب فيها. ومقولته الشهيرة: "كأنكم كنتم الأساتذة، وكأني كنت أنا التلميذ"، ما يشير إلى تغير في النظرة السائدة عن المدرسة والعلم من فعل للحصول على علامات وتمييز، وبالتالي الطريق إلى الحصول على وظيفة مميزة بحسب المعايير والقيم السائدة، إلى كون المدرسة إحدى أدوات المعرفة، وأن امتلاك المعرفة هو هدف دائم، وهو الوسيلة لفهم الواقع، وبالتالي، السعي نحو التطوير. في هذه المقاربة ينتقل شعور الطالب من أن الدراسة تشكل عبئاً أو همماً أو وسيلة تنافسية تشكل ضغطاً، إلى متعة المعرفة والتحليل، وإلى أداة تسهم في الاطلاع والمعرفة، إلى استقراء الظواهر وفهمها.

وفي ثمانينات القرن الماضي، ومع أحداث الانتفاضة الأولى، اعتبر منير فاشه أن التعليم الرسمي غير قادر على إحداث التربية التحررية التي ينشدها، وبادر إلى تأسيس مؤسسة تامر للتعليم

¹² ندين ربيع، ومرام عودة، وساره العلم، "نظام التعليم الإسرائيلي القائم على الاستعمار والفصل العنصري: استعباد عقول الفلسطينيين وحقوقهم (بيت لحم: بديل المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين، كانون الأول 2020).

¹³ وزارة التربية والتعليم العالي، متحدثون يؤكدون ضرورة إنهاء استعمار التمويل في التعليم ورفض اشتراطه، وزارة التربية والتعليم العالي، 25 أيار 2023، <https://www.moe.pna.ps/c/29943> (تاريخ الوصول 25 أيلول 2024).

¹⁴ Susan Mark, "Human Rights and Root Causes," *The modern law review* 74, no.1, (2011): 57-78.

المجتمعي. التي عملت على تعزيز التعلم والتفكير النقدي، واستلال مفهوم المجاورة، الذي عرّفه فاشة بأنه:

المجاورة إطار مجتمعي يتكون من مريدين ومرادين، لا سلطة داخلية فيه ولا سلطة خارجية عليه، ولا يحتاج إلى ترخيص وميزانية. إطار يعتمد على علاقات شفوية تحادثية وجها لوجه كأساس، ويعتبر المعرفة فعل تتكوّن عبر تأمل في خبرات وتجارب وتفاعلات مع مصادر مختلفة، واجتهاد في توليف معنى لها. المجاورة وسيط للتعلم والفهم على الصعيد الشخصي والجمعي؛ وسيط يجمع بين الحرية والمسؤولية والكرامة والمساواة والصدق في آن واحد؛ وسيط يجدل نسيجا بين الناس على أصعدة شتى ومع المكان والحضارة والذاكرة الجمعية.¹⁵

هناك تجارب عديدة للتعليم الشعبي في الانتفاضة الأولى والانتفاضة الثانية اللتان جاءتتا استجابة لما كان يمر به الشعب الفلسطيني آنذاك. ففي غزة في الانتفاضة الأولى كانت فكرة التعليم الشعبي نتاج رفض شعبي لما حاولت سياسة الاحتلال فرضه من تجهيل من خلال إغلاق المدارس لفترات طويلة، وقامت اللجان الشعبية في المخيمات بتشكيل لجان للتدريس ومواصلة عملية التعليم.¹⁶ وفي الضفة الغربية كان هناك مجموعة من المبادرات والشبكات للتنظيم الشعبي، فيذكر جلال قمصية جملة من المبادرات الشعبية خلال الانتفاضة الأولى في بيت ساحور في مدينة بيت لحم، وكيف نظم الأفراد أنفسهم لتشكيل لجان شعبية تُقدّم خدمات مختلفة لأبناء كل حي، وأحد هذه المهام كانت تدريس الطلاب داخل المدارس كنوع من الصمود والتحدي لما فرضته الظروف عليهم.¹⁷

كما يوجد عدد من المبادرات الحديثة للتعليم التحرري في الضفة الغربية،¹⁸ ومنها جامعة في المخيم: جامعة غير رسمية في مخيم الدهيشة للاجئين (كلمة جامعة: مكان عام للاجتماع)، ومبادرات مختلفة ترعاها مؤسسات مثل مؤسسة فلسطينيات، ومؤسسة عشتار للمسرح، ومركز إبداع المعلم، ومؤسسة أفكار للتربية والتنمية الثقافية. كما توجد مبادرات فردية. يقول خالد عودة الله، الذي بادر تأسيس "دائرة سليمان الحلبي"، والجامعة الشعبية التابعة لها، سنة 2011، إن فكرة الجامعة الشعبية هي "خلق حيّز تعليمي شعبي متاح للجميع، والذي يجمع ما بين قضيتين أساسيتين، ما بين معرفة رصينة منهجية وليس مجرد كلام خطابي أو تعبئة أو رأي، وفكرة ضخّ معرفة مرتبطة بأسئلة المجتمع وهمومه وقضية التحرر من الاستعمار."¹⁹ فتسعى دائرة سليمان الحلبي إلى تحرير إنتاج المعرفة من النخب والمراكز المؤسسية للتعليم العالي، وإلى نشر هذه المعرفة، وإلى إخضاع النظام الكولونيالي في فلسطين إلى دراسة جادة من أجل كشف أدواته ووسائله وتحليلها، والاستفادة من التجارب الثورية والتحررية لرفع الوعي النضالي بين الناس.

ومن جانب آخر، يعدّ التعليم الذي يُبدع به الأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية إحدى تجارب التعليم الشعبي التحرري، والذي يفرض تحرّريته رغم الواقع المكاني، حتى وإن كان الأسرى يحاولون تنظيمه رسمياً، كتجربة جامعة هداريم على سبيل المثال، والتي "تمثل نتاجاً لحالة مقاومة فضاء السجن والتمرد عليه، بتغيير وظيفته الاستعمارية من فضاء عزل وسيطرة وضبط،

¹⁵ منير فاشة، "السر بالخلطة" موقع مجاورة (د.ت)، <https://shorturl.at/g5wng> (تاريخ الوصول 10 آب 2024).

¹⁶ يحيى البعقوبي، "التعليم الشعبي" .. هكذا أفضل الفلسطينيون محاولات تجهيل جيل الانتفاضة، فلسطين أونلاين، 8 كانون الأول 2021، <https://t.ly/VxML5> (تاريخ الوصول: 24 أيلول 2024).

¹⁷ أحمد عز الدين أسعد، شهادات من الانتفاضة: العصيان واللجان والشبكات والقيادة والتنظيم الشعبي، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 18 آب 2023. <https://www.palestine-studies.org/ar/node/1654221> (تاريخ الوصول 23 أيلول 2024)

¹⁸ حنان الرمحي، التعليم في فلسطين: التحديات الراهنة والبدائل التحررية، (فلسطين: مؤسسة روزا لوكسمبورغ المكتب الإقليمي، 2015).

¹⁹ نداء بسومي، ""باب الواد": الإنتاج المعرفي الفلسطيني خط مواز للمقاومة"، نون بوست، 10 كانون الأول/ديسمبر 2021، <https://www.noonpost.com/42608/> (تاريخ الوصول: 23 تموز/يوليو 2024).

إلى فضاء لمؤسسة تعليم جامعي".²⁰ وتعتمد الجامعة فلسفة تربوية، ف "التعليم التحرري الذي يشكل ممارسة تحررية من: سلطة السجن، وسلطة المستعمر، وسلطة أشكال التعليم ومنهجياته التقليدية".²¹

وفي محاولة لرفض الامتثال يحرص الأسرى على الحفاظ على الكتب، والمواد المعرفية، واستمرار الجلسات الحزبية والسياسية والحياة الثقافية، والتي يتم تنظيمها وبرمجتها وفق أولويات التنقيف والتعبئة الوطنية السياسية، ما يساهم في تعزيز قدرة الأسرى على إنتاج الأدب والإنتاج المعرفي في السجون، رغم محاولات الاحتلال المستمرة في منع إدخال الكتب، ومصادرتها، والهجمات المتكررة على إكسائات الأسرى في التعلم، والحياة، وعلى وجه الخصوص بعد "خطة أردان"،²² والهجمة على التعليم في السجون، واختلاف الحالة والعمل المستمر على صهر الوعي للفلسطيني داخل السجن وإغراقه في هموم مختلفة،²³ وتعزيز ثقافة الاستهلاك المادي والفردية (الكاتينا)،²⁴ وتعزيز الانتماءات الجغرافية على حساب الانتماءات الوطنية، وتفكيك البنى الوطنية الحزبية. في مقابل محاولات الأسرى العمل على التعليم، والانضباط الأخلاقي والقيم الجمعية بشكل مستمر. هذا في جلّه ما قبل بدء الحرب المستمرة على قطاع غزة، والهجمة الشرسة على السجون، وانتهاك الحد الأدنى من الحقوق، وسحب كامل إنجازات الأسرى التي تحققت عبر سنين من النضالات والتضحيات.²⁵

خطط الحكومة الفلسطينية المتعلقة بالتعليم

إن توجهات الحكومة، في بدايات عام 2024- حكومة التكنوقراط أو حكومة تسيير الأعمال، فيما يتعلق بالتعليم، التي أدرجتها في: "خطة وزارتي التربية والتعليم والتعليم العالي لإنقاذ العملية التعليمية فور وقف العدوان"، وهاجس استعادة التعليم والتفكير في كيف لا يخسر الغزيون السنة الأكاديمية، وبالتالي اقتصار التفكير على استعادة المنظومة التعليمية بشكلها المؤسسي، والاهتمام الشديد في إنشاء المدارس والبحث عن الكتب والالتزام بالمنهاج، والتعليم عن بعد، والتعليم

²⁰ قسم الحاج، "جامعة السجن في "هداريم" استيلاف الموجش وفقه البقاء"، مجلة الدراسات الفلسطينية 135 (صيف 2023): 107-130، 109-108.

²¹ المصدر نفسه، 119.

²² مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان، "دفتر... قلم وقيد: دراسة حول التعليم والحياة الثقافية في السجون الإسرائيلية" (رام الله: مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان، 2020) 94-95.

²³ وليد دقة، "صهر الوعي أو إعادة تعريف التعذيب"، (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 2010).

²⁴ الكاتينا هي المقصف/ المتجر المتواجد في السجون الإسرائيلية، الذي يقوم الأسرى الفلسطينية وعلى نفقتهم الخاصة بشراء احتياجاتهم الأساسية من ملابس وطعام، و مواد صحية خاصة، و مواد تنظيف منه. مع العلم أن سعر المواد في الكاتينا عالي جداً مقارنة بسعرها في السوق خارج السجون الإسرائيلية. لمزيد من التفاصيل: المركز الفلسطيني للإعلام، "الكاتينا.. متنفس للأسرى حولته إسرائيل لأداة عقاب"، المركز الفلسطيني للإعلام، (25 أيلول 2020)، <https://palinfo.com/news/2020/09/25/167336> (تاريخ الوصول 20 تشرين الثاني 2024). وانظر أيضاً: مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان، "الاستغلال الاقتصادي للأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال الإسرائيلي"، مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان (2017)، <https://shorturl.at/npTtg> (تاريخ الوصول 12 تشرين الثاني 2024).

²⁵ "الأسرى الفلسطينيون في زمن الطوفان"، جدلية، 13 تشرين الثاني/نوفمبر 2023، <https://l1nq.com/zHkWP> (تاريخ الوصول: 25 تموز/يوليو 2024)، وكذلك زاوية الأسرى من مدونة موقع مؤسسة الدراسات الفلسطينية، <https://www.palestine-studies.org/ar/blogs/all2> (تاريخ الوصول: 25 تموز/يوليو 2024)، وكذلك ملف الأسرى من مجلة الدراسات الفلسطينية، عدد 137، (شتاء 2024)، https://www.palestine-studies.org/ar/journals/explorer?%5B0%5D=field_special_issue%3A19770 (تاريخ الوصول: 25 تموز/يوليو 2024)، وكذلك موقع هيئة شؤون الأسرى والمحررين، <https://cda.gov.ps/index.php/ar/> (تاريخ الوصول: 25 تموز/يوليو 2024)، وكذلك موقع مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان، <https://www.addameer.org/ar> (تاريخ الوصول: 25 تموز/يوليو 2024).

الإلكتروني تبدو مبتسرة. فرغم الأهمية، إلا أن هذا التصور يبدو مفصولاً عن الواقع، وغير شمولي، في ظل المشهد التدميري لكل شيء، وهو تصور يبتعد عن جوهر التعليم، ويكتفي بشكله الخارجي المتجسد في بناء المدرسة، دون التقليل من أهمية البنية التحتية، ولكن الطرف اليوم مختلف، وربما من الأفضل التفكير بأساليب التعليم التي عرفها تاريخ الشعوب في مواجهة حالات الاستعمار، والحرب، كالتعليم الشعبي.

تضمنت خطة الوزارة الحاجة إلى توفير 4500 غرفة صفية من مواد متعددة منها الخيام المقواة أو الكرفانات مسبقة الصنع، التي تتطلب مساحات كافية من الأراضي بعد تنظيفها من مخلفات الحرب، وتزويدها بالخدمات الأساسية بحيث تعمل جميع المدارس المقترح توفيرها بنظام الفترتين صباحي ومساءلي، وبدء تنفيذ أنشطة اجتماعية ونفسية لضمان العودة المناسبة للطلبة والمعلمين إلى التعليم، وبما يتيح تعزيز قدرات الطلبة والهيئات التدريسية على التعلم المناسب، إضافة لإجراء مسح لتحديد واقع البنية التحتية ودراسة حجم الضرر الذي تعرض له كل مبنى مدرسي على حدة، بما يضمن تسريع إجراءات إعادة البناء والتأهيل للمدارس.²⁶

افتقرت الخطة إلى عناصر أساسية لمسح وتقييم ما بعد حرب الإبادة، وما هو المطلوب لاستعادة ثقافة المقاومة والصمود، وما هو المطلوب لاستعادة الأمل أو حتى القدرة على التعلم والمواجهة، حيث أن حرب الإبادة الجماعية لم تقتصر فقط على تدمير البنية التحتية وإنما هدفت أيضاً لجعل غزة منطقة غير قابلة للحياة، فربما ليس المبنى هو الأساس أو الغرفة التعليمية، وإنما نقاش عن أي تعليم نتحدث، بأي لغة نقرأ، وما هو الفكر الذي نحن بحاجة إليه.

تبقى "خطط الحكومة"²⁷ في إطار التعليم النظامي، وتنسجم مع القيم النيوليبرالية الجديدة، في ربط التعليم بنظام السوق، وأهمية استرجاع النظام التعليمي في شكله ومضمونه التقليديين، بعيدة عن المضمون، وعن إمكانيات التطبيق في السياق الراهن.

لعل الحرب العاتية التي يشنها الاحتلال الإسرائيلي كشفت هشاشة الواقع الفلسطيني، لا سيما في الضفة الغربية في مختلف الجوانب، اقتصادياً، وسياسياً، إلا أنها أيضاً كشفت آليات الصمود والتّحدي، وأظهرت المبادرات العديدة للتعليم الشعبي التحرري، والتي كان أبرزها الجلسات التعليمية داخل الخيم، أو جلسات الدعم النفسي وتقديم الأمان، غير المرتبطة بالمشاريع وغير الممولة، أو محاولات التحاق طلاب الجامعات في غزة مع طلبة الجامعات في الضفة الغربية.

لذلك، توصي الورقة بما يلي:

1. أن تكون خطط إعادة الإعمار، واستعادة التعليم من إنتاج فلسطيني، وليست مسقطة، وتسعى لتعزيز التواصل واللّحمة بين الجامعات الفلسطينية، وكسر الحصار عن قطاع غزة، والإشارة إلى استثنائية الوضع في غزة منذ ثمانية عشر عاماً، وليس فقط منذ بدء حرب الإبادة الأخيرة.
2. إعداد خطة عمل شاملة لمواجهة التحدّيات الحالية، قادرة على الاستجابة للطرف الراهن، لا تنحصر في المؤسسات الأكاديمية التقليدية الرسمية.

²⁶ وفا الإخبارية، "الحكومة تعتمد خطة وزارتي التربية والتعليم والتعليم العالي لإنقاذ العملية التعليمية فور وقف العدوان"، وفا الإخبارية، 4 آذار/مارس 2024، <https://www.wafa.ps/Pages/Details/91306> (تاريخ الوصول: 23 تموز/يوليو 2024).

²⁷ وحدة العلاقات العامة والدولية والإعلام، "التعليم العالي تباشر بتنفيذ خطتها لاستئناف طلبة غزة مسيرتهم التعليمية في جامعات الضفة الغربية"، موقع وزارة التربية والتعليم العالي، 13 آذار/مارس 2024، <https://www.mohe.pna.ps/news?p=articles&news=8981&title=طلبة-غزة-مسيرتهم-التعليمية-في-جامعات-الضفة-الغربية.aspx> (تاريخ الوصول: 23 تموز/يوليو 2024).

3. أن تشمل خطط التعليم سواء على المستوى الرسمي أو الشعبي تلبية احتياجات الطلبة النفسية والجسدية والصحية، وليس فقط التركيز على تعليمهم، فليس من الحكمة الاعتقاد أنه يمكن تعليم الطلبة وهم في حالة صحية ونفسية غير جيّدة.
4. دعم وتشجيع مبادرات التعليم الشعبي التحرري التي تعمل على نقل التجارب لمواجهة الظروف والتكيف معها، في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة.
5. اعتماد آليات غير تقليدية لتسهيل التحاق الطلبة في المدارس أو الجامعات سواء تعليم عن بعد، أو خلق مساحات تعلم مبتكرة، واتخاذ إجراءات وأساليب جديدة لتقييم الطلاب، تأخذ الطرف الراهن بعين الاعتبار وتولي الاهتمام للمعرفة وليس لجمع الساعات والالتزام الشكلي بالمتطلبات. المقصود هو إتاحة المجال للتعلم بشكل حر، وتطوير أدوات تقييم قائمة على التعلم الفعلي المكتسب، بغض النظر عن وسائطه.
6. تقديم الدعم للأكاديميين والمتقنين والكتاب والشعراء والفنانين والمؤسسات المحلية لتعزيز دورهم في التعليم الشعبي من خلال توفير المتطلبات اللوجستية، والمادية، وتسهيل نشر المنتجات الثقافية والفكرية، وتعزيز المبادرات التي تسهم في تطوير قيم الحرية والمساواة والاستقلال والتخلص من الهيمنة ومفاعيلها.
7. مساندة وتمويل المساحات والفضاءات لدعم وتوثيق التجربة الفلسطينية في ظل الحرب بكافة أبعادها، وإعداد الدراسات التقييمية للوقوف على آليات التعليم المتبعة ودورها في تعزيز الفكر النقدي والقدرة على المواجهة والتغيير.
8. تقييم ودراسة دور المؤسسات الأكاديمية في رفد الخبرات التي تسهم في تعزيز الاقتصاد الفلسطيني.
9. إسناد الغزيين داخل قطاع غزة، وبما يحتاجونه لتعزيز صمودهم، وليس العمل على تعزيز سفرهم خارج البلاد ما قد يسمى "تهجيراً طوعياً"، وهو وإن حدث ليس إلا قسراً، وضرورة ألا تعتمد المشاريع على إفراغ قطاع غزة من الأكاديميين والطلبة (خارج غزة) تحت شعار المنح والفرص في الجامعات العربية والأوروبية، خاصة أن الهدف تعزيز التعليم في غزة، وليس إفراغها من النخب الأكاديمية.

قائمة المصادر

- Al-kurd, Abdalla, and Barton R.Herrscher. 1995. "Alternative Education Under the Intifada: The Palestinian Response to Israeli Policy in the Occupied Territories." In *Children in the Muslim Middle East*, by Abdalla al-Kurd and Barton R. Herrscher, 298-308. New York: University of Texas Press.
- Crowther, Jim. 2013. *The international popular education network: its purpose and contribution*. Accessed July 23, 2024. <https://www.rizoma-freireano.org/articles-1414/the-international-popular-education-network>.
- Gramsci, Antonio. 1975, Translation 2007. *Prison Notebooks*. Edited by Joseph A. Buttigieg. Translated by Joseph A. Buttigieg. Vol. Volume III. New York: Columbia University Press.
- Marks, Susan. 2011. "Human Rights and Root Causes." *The modern law review* 74 (1): 57-78.
- Mayo, Marjorie. 2020. *Community-based learning and social movements: Popular Education in a Populist Age*. Bristol : Policy Press.

- أسعد، أحمد عز الدين. 2023. مؤسسة الدراسات الفلسطينية. 18 آب. تاريخ الوصول 23 أيلول، 2024. <https://www.palestine-studies.org/ar/node/1654221>.
- الحاج، قسم. 2023. "جامعة السجن في "هداريم" استئلاف الموحش وفقه البقاء." *مجلة الدراسات الفلسطينية* (135): 107 - 130.
- الحشوة، ماهر. 2021. *التربية التحررية النقدية*. معهد مواطن للديمقراطية وحقوق الإنسان، 21 آب/أغسطس. تاريخ الوصول 23 تموز/يوليو، 2024. <https://rb.gy/wql594>.
- الرمحي، حنان. 2015. *التعليم في فلسطين: التحديات الراهنة والبدائل التحررية*. مكتب فلسطين: روزا لوكسمبرغ.
- المركز الفلسطيني للإعلام. 2020. *الكانتينا.. متنفس للأسرى حولته إسرائيل لأداة عقاب*. 25 أيلول. تاريخ الوصول 20 تشرين الثاني، 2024. <https://palinfo.com/news/2020/09/25/167336>.
- اليقوبي، يحيى. 2021. *فلسطين أونلاين*. 8 كانون الأول. تاريخ الوصول 24 أيلول، 2024. <https://t.ly/VxML5>.
- بسومي، نداء. 2021. "'باب الواد': الإنتاج المعرفي الفلسطيني خط مواز للمقاومة." *نون بوست*. 10 كانون الأول/ديسمبر. تاريخ الوصول 23 تموز/يوليو، 2024. <https://www.noonpost.com/42608>.
- جدلية . 2023. *الأسرى الفلسطينيون في زمن الطوفان*. 13 تشرين الثاني . تاريخ الوصول 25 تموز , 2024. <https://www.jadaliyya.com/Details/45510>.
- جرادات، علاء، وروجر هيكوك. 2020. *انتفاضة 1987: تحوّل شعب*. تحرير روجر هيكوك و علاء جرادات. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
- فاشة، منير. بلا تاريخ. *السر بالخلطة*. تاريخ الوصول 10 آب، 2024. <https://shorturl.at/knb49>.
- فريري، باولو. 1995. *الفعل الثقافي في سبيل الحرية*. ترجمة إبراهيم الكرداوى. القاهرة: مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الإنسان.
- . 1980. *تعليم المقهورين*. ترجمة يوسف نور عوض. بيروت: دار القلم.
- مجلة الدراسات الفلسطينية. 2024. *مجلة الدراسات الفلسطينية العدد 137*. شتاء. تاريخ الوصول 25 أيلول، 2024. https://www.palestine-studies.org/ar/journals/explorer?f%5B0%5D=field_special_issue%3A19770.
- مؤسسة الدراسات الفلسطينية. بلا تاريخ. *مدونة مؤسسة الدراسات الفلسطينية (زاوية الأسرى)*. تاريخ الوصول 25 تموز/يوليو، 2024. <https://www.palestine-studies.org/ar/blogs/all2>.
- مؤسسة الضمير لحقوق الإنسان ورعاية الأسير. 2020. "الحياة الثقافية والتعليمية في السجون." *مؤسسة الضمير لحقوق الإنسان ورعاية الأسير*. آذار/مارس. تاريخ الوصول 23 تموز/يوليو، 2024. https://www.addameer.org/ar/key_issues/access_to_education.
- مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان . 2017. *الاستغلال الاقتصادي للأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال الإسرائيلي*. تاريخ الوصول 12 تشرين الثاني , 2024. <https://shorturl.at/npTtg>.

مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان. 2020. دفتر... قلم وقيد: دراسة حول التعليم والحياة الثقافية في السجون الإسرائيلية. رام الله: مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان.

— بلا تاريخ. موقع مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان. تاريخ الوصول 25 تموز/يوليو، 2024. <https://www.addameer.org/ar>.

ندين، ربيع، مرام عودة، و ساره العلم. 2020. نظام التعليم الإسرائيلي القائم على الاستعمار والفصل العنصري: استعباد عقول الفلسطينيين وحقوقهم. بيت لحم: بديل المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين.

هيئة شؤون الأسرى والمحررين. بلا تاريخ. موقع هيئة شؤون الأسرى والمحررين. تاريخ الوصول 25 تموز/يوليو، 2024. <https://cda.gov.ps/index.php/ar>.

وحدة العلاقات العامة والدولية والإعلام. 2024. "التعليم العالي تباشر بتنفيذ خطتها لاستئناف طلبة غزة مسيرتهم التعليمية في جامعات الضفة الغربية." وزارة التربية والتعليم العالي. 13 آذار/مارس. تاريخ الوصول 23 تموز/يوليو، 2024. <https://www.mohe.pna.ps/news?p=articles&title=&news=8981> -التعليم العالي- تباشر- بتنفيذ- خطتها- لاستئناف- طلبة- غزة- مسيرتهم- التعليمية- في- جامعات- الضفة- الغربية.aspx.

وزارة التربية والتعليم العالي. 2023. متحدثون يؤكدون ضرورة إنهاء استعمار التمويل في التعليم ورفض اشتراطه. 25 أيار. تاريخ الوصول 25 أيلول، 2024. <https://www.moe.pna.ps/c/29943>.

وكالة وفا . 2024. الحكومة تعتمد خطة وزارتي التربية والتعليم والتعليم العالي لإنقاذ العملية التعليمية فور وقف العدوان. 4 آذار/مارس. تاريخ الوصول 24 تموز/يوليو، 2024. <https://www.wafa.ps/Pages/Details/91306>.

وليد، دقة. 2010. صهر الوعي أو إعادة تعريف التعذيب. الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات.